التلميذ الناشئ والشيخ الحكيم

الأخ عصام العطار

لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :

– بماذا أجبتَ الموظّفَ الكبيرَ الذي سألكَ عمّا يمكنُ أن يفعل ، والحاكمُ المنحرفُ الظالمُ يكلّفُه من الانحرافِ والظلمِ ما لا يقبلُه الدينُ ولا الضمير ، وهو لا يستطيعُ أن يخالِفَه خوفاً على وظيفتِه ونفسِه ؟

قال الشيخُ الحكيم :

– بما أجابَ به الحسنُ البصريُّ عمرَ بنَ هُبَيْرة ..

قال التلميذُ الناشئ :

– وبماذا أجاب الحسنُ ابنَ هُبَيْرة ؟

قال الشيخُ الحكيم :

– كتب ابنُ هبيرةَ إلى الحسنِ وابنِ سِيرينَ والشعْبيِّ فَقُدِمَ بهم عليه ، فقال لهم : إنّ أميرَ المؤمنينَ يكتبُ إليَّ في الأمرِ ، إنْ فعلتُه خِفتُ على ديني ، وإن لم أفعلْه خفتُ على نفسي ؛ فقال له ابنُ سيرينَ والشعبيُّ قولاً رَقَّعا فيه ، وقال له الحسن ؟

يابنَ هُبَيْرة ، إنّ اللهَ يَمْنَعُكَ (أي يحميك) مِنْ يَزيد ، وإنَّ يزيدَ لا يمنعُك من الله

يابنَ هُبَيْرة ، خَفِ اللّهَ في يزيدَ ، ولا تَخَفْ يزيدَ في الله

يابنَ هُبَيْرة ، إنّه يوشِكُ أن يبعثَ اللّهُ إليكَ مَلَكاً فيُنْزِلَكَ عن سريرِك إلى سَعَةِ قَصْرِك ، ثمَّ يُخْرِجَك ، عن سَعَةِ قصرِك إلى ضِيقِ قبرِك ، ثمَّ لا يُنْجيك إلاّ عملُك .

يابنَ هبيرة ، إنَّه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق

قال التلميذُ الناشئ :

– فما أحرى هذا الجوابَ أن يصلَ إلى كلّ موظّفٍ كبيرٍ أو صغير ، وإلى كلّ فردٍ من الأفراد يسأل –أو يتساءلُ بينَه وبينَ نفسه– هذا السؤال ، ويقفُ أحياناً قليلةً أو كثيرةً مَوْقِفَ التردّدِ بينَ دينهِ ودنياه أن وطاعةِ الحاكمِ المنحرفِ الظالمِ أو طاعةِ الله .

الحاكمُ الماكرُ والكاتبُ الحرّ

قال الحاكمُ الماكرُ للكاتبِ الحرِّ وهو يُبدي له تقديرَه وإعجابَه :

– إنّني أقرأُ كلَّ كلمةٍ تنشرها في الصحف والمجلات ..

ورجع الكاتبُ الحرُّ إلى بيتهِ بعدَ اللقاء ، وأمسكَ القلمَ ليكتبَ فإذا به يرى الأمورَ رُؤْيَةً جديدة ، يراهـــا بعَيْنَـــيِ الحاكمِ الماكرِ لا بعينيْ نفسه ، ويقيسُها بما يعجبُ الحاكمَ أو لا يعجبُه ، وبما يُرضيه أو يُسْخِطُه ، لا بما هي عليه منَ الحقِّ أو الباطل ، ومنَ الصوابِ أو الخطأ ، ومنَ الجمالِ أو القُبح ، ومن الخير أو الشرّ كما تعوَّد

وأتمَّ الكاتبُ مقالَه الطويل ، ونظر فيه بعدَ الفراغِ منه ، فإذا به لا يرى فيه نفسَه ولا رأيَه ولا ضـــميرَه ، ولكـــنْ يرى فيه الحاكمَ ورغبتَه وشهوتَه ومصلحتَه وما يريدُ أن يُذاعَ في الناس

وأمسك الكاتبُ الحرُّ بقلمهِ العتيدِ وكسرَه بكلتا يَدَيْهِ وهو يقول :

خَيْرٌ لي ألاّ أكتب ، وخيرٌ لهذا القلمِ أن يموت ، من أَفقدَ به ذاتي ، وأتحوّلَ به إلى مجرّدِ مرآةٍ لا شخـــصيّةَ لهـــا ، تعكسُ أهواءَ الحكّامِ وما يندفعونَ فيه من الباطل ، بَدَلَ أن تكونَ كتابتي صورةً نقيّةً لذاتي ، وتعـــبيراً صـــادقاً عـــن شخصيّتي ، وعمّا أؤمنُ به من الحقِّ والعدلِ والخير.

التخلّي عن العمل الإسلامي

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :

– ما قولُك فيمن يتخلَّوْنَ عن العملِ الإسلاميّ هذه الأيام ، وينصرفون عنه إلى شؤون الدنيا ؟

قال الشيخُ الحكيم :

– إنّ التخلّيَ عن العملِ الإسلاميِّ هذه الأيام بالذاتِ هو تَخَلٍّ عن الإسلامِ نفسه ، وإسهامٌ في هزيمتهِ وانتـــصارِ أعدائهِ عليه .. ولا يفعلُ ذلك مسلمٌ صادقُ الإسلام ، ولا رجلٌ عندَه ذرَّةٌ من الغَيْرَةِ والْمُروءةِ والوفاء

قال التلميذُ الناشئ :

– فإنّهم يدَّعونَ أن لهم أسباباً في تركِ العمل

قال الشيخُ الحكيم :

– فالسبيلُ إذن هو معالجةُ هذه الأسبابِ المانعةِ أو العائقةِ ، لا تركُ العمل ، وإذا ضاق على العامل المخلصِ مجالٌ فأمامَهُ مائةُ مجال ، وإذا انسدَّ عليه طريقٌ فأمامَه مائةُ طريق .. ولن تضيقَ مجالاتُ العملِ أو تنسدَّ طرقُه على عمالقـــةِ العقيدةِ الذينَ يرتفعونَ إلى مستوى إسلامِهم ، مستوى مسؤوليتِهم ، ويُصَمّمونَ تصميماً قاطعاً على أن يربحوا معركَةَ الإسلامِ أو يموتوا دونَ ذلك .